د. فتيحة بلعسلة
أستاذة محاضرة "أ" تخصص علم النفس وعلوم التربية
المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة

"

العلاقات الأسرية وتأثيراتها على الاستقرار النفسي للطفل
دراسة نفسية –تحليلية

ملخص :
للأسرة أهمية بالغة في تمتع الطفل بالصحة النفسية والجسدية فهي الخلية الاجتماعية الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، فهي التي تمده بعناصره التي من المفروض أن تكون فاعلة وايجابية في المجتمع باعتبارها الركيزة الأساسية في خلق الضبط الاجتماعي لدى مجموع أفراده خاصة الأطفال منهم بما تقدمه من تربية أخلاقية نفسية تعد أفرادها للقيام بأدوارهم الاجتماعية المختلفة، و التفاعل مع الحياة الاجتماعية و الاندماج في المجتمع.
يهدف المقال التالي الى التعرف على أهمية الأسرة ووظيفتها ، نوع العلاقة الأسرية وأثرها في ظهور الاضطرابات داخل الأسرة وتأثيرها على الاستقرار النفسي الطفل وأخيرا أهمية الاستقرار الأسري بالنسبة للطفل .
الكلمات المفتاحية : الطفل ، العلاقات الأسرية ، الاستقرار النفسي .

Résumé
La famille joue un rôle très important dans l'épanouissement de la santé mentale et physique de ses membres. Elle fournit à la société ses éléments censés être efficaces et positifs afin d'assumer leurs différents rôles sociaux, à interagir avec la vie sociale et à s'intégrer dans la société .
L'article suivant vise à identifier l'importance de la famille et de sa fonction, le type de relation familiale et son impact sur l'émergence de troubles au sein de la famille et sur la stabilité psychologique de l'enfant.
Mots clés : Enfant, relations familiales, stabilité psychologique

مقدمة :

تستقطب الأسرة بصفة عامة والطفولة بصفة خاصة مند العقدين الأخيرين، اهتماما عالميا متزايدا من طرف المختصين من الباحثين و التربويين وعلماء النفس والاجتماع، لما لهذين الموضوعين من أهمية بالغة وكذا مع تنامي عدة ظواهر أفرزتها مختلف التحولات العالمية المتزايدة من تأثيرات على بنية ووظيفة الأسرة من جهة،و الملامح النفسية للطفولة في العصر الحديث من جهة أخرى، و انعكاسات هذه التغيرات على العلاقة بين الطفل و أسرته .

يتجلى الاهتمام بالأسرة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الأكثر أهمية التي كانت ولا تزال الحضن الأول للطفل ومصدر الكثير من الاشباعات لأفرادها، فهي التي تقدم لهم الحب،الاحترام،الأمن والحماية النفسية والجسدية ، ولكن نلاحظ تعقد مهمتها وصعوبتها خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية و ظهور تحديات كثيرة على جميع المستويات لدى الأفراد في المجتمع مثل ظهور النزعة الفردية، تفشي ثقافة الاستهلاك ، تفشي الكثير من الآفات الاجتماعية ،وكذا ظهور بعض الممارسات السلبية خارج وداخل الأسرة التي يذهب الطفل ضحيتها.

تتمحور الدراسة الحالية حول الأسئلة الأساسية التالية :

-ما هو مفهوم الأسرة السوية والأسرة المضطربة؟ كيف يعيش الطفل علاقاته الأسرية في ظل الأسرة المضطربة والأسرة السوية؟ كيف يمكن أن تأثر العلاقات الأسرية على الطفل وعلى نموه من جميع جوانبه؟ ما هي خلفيات نمو طفل داخل أسرة مضطربة وانعكاساتها على مستقبل حياته؟ ما هي مخلفات علاقة تنشا داخل جو من التوتر على نفسية الطفل؟ وكيف نساهم كباحثين في العلوم الاجتماعية ومن منظور سيكولوجي في التوعية و التحسيس بأهمية العلاقات الأسرية و الجو الأسري الذي ينشا فيه الطفل؟

1-الأسرة بين الأهمية والوظيفة :

للإجابة على هذه الأسئلة السابقة يجب أن نشير إلى أهمية الأسرة في المجتمع ودورها وما تمثله بالنسبة للطفل وبالتالي العلاقة الأسرية وما يجب أن تقوم عليه، فليس من التكرار أن نقول أن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، و المجتمع بدوره هو من يحدد لها أعرافها وتقاليدها و عاداتها و علاقاتها الداخلية و الخارجية و ما تشمله هذه العلاقات من حقوق وواجبات وبالمقابل فالأسرة تمد المجتمع بعناصره التي من المفروض أن تكون فاعلة وايجابية في المجتمع باعتبارها الركيزة الأساسية في خلق الضبط الاجتماعي لدى مجموع أفراده بما تقدمه من تربية أخلاقية نفسية تعد أفرادها للقيام بأدوارهم الاجتماعية المختلفة، و التفاعل مع الحياة الاجتماعية و الاندماج في المجتمع .

تنحصر الوظائف الأساسية للأسرة كما أوردها الدكتور (معن خليل عمر 1998) في :

-الوظيفة الضبطية أي توجيه و إرشاد الأبناء حسب القيم و المعتقدات السائدة في المجتمع.

–الوظيفة البيولوجية التي تعني إنتاج أعضاء جدد للمجتمع.
–الوظيفة الوجدانية العاطفية التي تشيع الحنان والحب والدفئى في العلاقات الأسرية .
و تعد هذه الأخيرة موضوع اهتمامنا بحيث أن نوعية هذه الوظيفة يتقرر على أساسها بناء شخصية أفراد الأسرة – خاصة منهم الأطفال –وسلوكياتهم مستقبلا .

من جهة أخرى تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي تترك بصمات واضحة في حياة الإنسان فمن خلال ما يتلقاه الفرد من خبرات في هذه المرحلة يتحدد إطار شخصيته لسهولة تشكيله وصقله، و لهذه المرحلة ميزاتها، خصائصها ومطالبها و أهمها كما أوردها الدكتور(حسن منسي1991) :
–بناء اتجاهات صحيحة ومفيدة، وتعلم بناء علاقات تكيفيه مع الأقران.
–تعلم لعب الدور الاجتماعي المناسب والمشاركة في تحمل المسؤولية وممارسة الاستقلال الشخصي.
–تطوير مفاهيم ضرورية للحياة اليومية مع تطوير الضمير والحس الأخلاقي ومقاييس القيم.
–تعلم تكوين اتجاهات سليمة نحو الجماعات و المؤسسات و المنظمات الاجتماعية.

من هنا تزايد اهتمام المختصين والباحثين بهذه الشريحة المهمة من المجتمع و بقضاياها، وذلك نظرا لأهمية هذه المرحلة من جهة، و لتفاقم المشاكل التي تتعرض لها مع الوقت من جهة أخرى.
هذا الاهتمام و الإرادة الجدية بالتكفل و البحث في مشاكل الطفولة يعكس تغيرات مهمة في الذهنيات والاتجاهات نحو الطفل إلى حد اعتباره محور المجتمع ككل، و تعززه كثرة الدراسات و البحوث و الملتقيات و التي تقام للبحث في مواضيع الطفولة و محاولة إيجاد حلول لها.

لقد برز اهتمام الدول و خاصة المتقدمة منها بالطفولة بجميع أشكالها:الطفولة الجانحة،المسعفة، طفولة مشردة ، طفولة ضحية اعتداءات جنسية و انحرافات أخلاقية مختلفة، ،ظهور فئة من الاطفال تستغل من طرف شبكات المتاجرة بالمخدرات ،اطفال يتم استغلالهم في أعمال شغب ،تفاقم مشكل التسرب المدرسي ،عمالة الاطفال ،الارتفاع الهائل لمعدلات الجريمة بمختلف أنواعها في وسط الأحداث،استفحال ظاهرة انحراف الأحداث فتحول الأطفال إلى منتجين للعنف أكثر مما هم عرضة له في الأسرة والمدرسة و الشارع، كل هده المشاكل التي تتخبط فيها الطفولة اليوم هي نتيجة متغيرات افرزها التطور السريع للمجتمعات و التحولات والتطورات التي طالت كافة مجالات الحياة و فرضتها مقتضيات العصر من حداثة، عولمة، تطور تكنولوجي سريع أدت إلى تغير المجال الثقافي و الاجتماعي وخلق عدة صراعات طالت حتى الأسرة فظهرت على شكل صراع في الأدوار بين الرجل و المرأة في الأسلوب التربوي الممارس بين البيت و الشارع، المدرسة و الوسائط التكنولوجية من تلفزيون، انترنت....الخ.

كل هذه التغيرات خلقت توجهات تربوية لدى الأسرة اختلفت عن توجهاتها في الماضي فتغير نمط معيشة الأسرة ،ودعمت التربية الأسرية بمؤسسات وأدوات عصرية ألقت بثقلها و فرضت نفسها على الأسرة فقلصت من وظيفتها التربوية، ومع ذلك تبقى الأسرة بعنصريها :الأب والأم أهم العناصر في تنمية الموارد البشرية المتمثلة في الأطفال و تحسين مرددوها، و أقوى المؤسسات في تحقيق أهداف التربية في

المجتمع في ظل وجود مؤسسات أخرى، فهي المسئولة عن خلق التوافق النفسي و الحفاظ على توازنه ، و تحقيق التكيف النفسي و الاجتماعي و الاقتصادي لدى أفراد المجتمع، و أقواها تأثيرا في تكوين شخصية الطفل و توجيه سلوكه بما يتناسب مع الأدوار الاجتماعية المحددة حسب الشكل الحضاري المطلوب، وبالتالي تناسق في الوظائف الاجتماعية ووقاية المجتمع من الانحراف والجريمة.

2- نوع العلاقة الأسرية وتكيف الطفل :

نمط التربية الأسرية وعلاقات الطفل داخل هذه الأسرة هو الذي يحدد أسلوب تكيف الطفل مع أسرته، و هذه العلاقات ليست متساوية مع جميع أفراد الأسرة، فتأثير الأم مثلا لا يعادله أي تأثير آخر خاصة خلال الفترة الأولى من حياة الطفل، ثم يأتي تأثير الأب ثم الأخوة وبعدها تأثير من هم خارج نطاق الأسرة من أهل و أصحاب وغيرهم ،وسواء كان هذا التأثير ايجابيا أو سلبيا فهو يأخذ حيزا من شخصية الطفل ، فالبيئة المحيطة بالطفل بما في ذلك أسلوب معاملة الآباء عنصر مهم في تشكيل شخصية الطفل و تكوين اتجاهاته و ميوله ونظرته للحياة.

لكن قد تصادف هذه الأسرة، في ظل التغيرات و التناقضات التي تشهدها مختلف المجتمعات ،عدة مشاكل تجعلها تتنصل عن مسؤولياتها في تربية الطفل فتصبح بذلك بيئة منافية للقيم الإنسانية، و مغذية لكثير من السلوكيات للاجتماعية ،العدوان والعنف الذي أصبح لغة الحوار و التعامل بين أعضاءها فيصبح الطفل هو الضحية في مثل هذه الحالة.

فالأسرة التي من المفروض أن تغرس في أطفالها روح القيم والمثل العليا و النظم الاجتماعية و المبادئ الأخلاقية و كذا العديد من السلوكيات الاجتماعية مثل الصلاح ، حب العمل و إتقانه، التعاون، الانضباط روح المبادرة، التسامح وتكريس أسلوب الحوار وتقبل الآخر عن طريق بناء علاقات قوية داخل الأسرة مع اطفالها و تقديم نموذج من قوة الشخصية و حسن الخلق، نجدها قد تتهاون في أداء هذه الوظيفة و ذلك نتيجة مشاكل قد تصادفها تجعل منها أسرة مضطربة ،قد زعزعت أسسها وتذبذبت أساليب التربية فيها فتفشل في إشباع حاجات الطفل الأساسية فيؤدي هذا إلى شعوره بالقلق والإحباط ومن ثم تنعدم ثقته في نفسه وتبدأ معه سلسلة من المشكلات النفسية والسلوكية.

تؤكد (داليا مؤمن 2004) ن العلاقات الأسرية هي لب الاضطراب داخل الأسرة وهي ترى أن هناك أنواع من الأسر المضطربة مثل:

-تفكك البناء الداخلي للأسرة مع التكامل الخارجي والذي يعني بعد العلاقات داخل الأسرة ونقص المشاركة.

-الأسرة المتداخلة: أي عدم وجود فروق واضحة بين أفراد الأسرة وهي اسر غير واضحة المعالم و لا يوجد فروق كبيرة بين الأفراد و تتداخل فيها الأدوار.

-الأسرة المفككة: وهي التي لديها حدود جامدة غير سليمة بين أعضائها برغم أنهم يعيشون معا ، كأن يشعر الطفل بالاستقلال المتطرف وان لا احد مهتم به.

-الأسرة المسيئة: و هي الأسرة التي يتعرض فيها الأطفال إلى سوء المعاملة البدنية،و يشيع في هذه الأسر اضطراب التواصل بين الوالدين مما يؤدي إلى علاقات أسرية غير مشبعة.

-الأسرة الفصامية : و يقصد بها الأسرة التي أصيب احد أبنائها بالفصام نتيجة لمعاملة الوالدين وسوء العلاقة داخل الأسرة.

3- الاضطرابات داخل الأسرة وتأثيرها على الطفل :

يمكن تصنيف الأسرة المضطربة-في بحثنا هذا- حسب معاناتها من عدة صعوبات و منها:

1-اضطراب العلاقات الزوجية : وتتضمن الخلافات الزوجية، المشكلات النفسية للزوجين، السلوك للاجتماعي لأحد الزوجين، سوء التوافق النفسي و الاجتماعي ،عدم التوافق الجنسي بين الزوجين مما يؤدي إلى خلق خلافات تنشا أساسا من سوء أساليب التواصل، فتظهر معاناة كبيرة داخل الأسرة حيث تتحول الحياة الزوجية بين الطرفين إلى مشاداة و مشاحنات تجعل كل واحد يلقي بالاتهامات على الآخر فيسود الأسرة القلق و الغضب وما قد ينشا عنه من تأثير سلبي مباشر أو غير مباشر على الأطفال.

2-سوء اختيار الشريك : قد يكون من أسباب الاضطراب داخل الأسرة ينتج عنه عدم توفر التكافؤ في الميول و الاتجاهات فتترتب عنه مشاكل عديدة نتيجة تنافر الزوجين من بعضهما .

3- عدم صلاحية احد الزوجين أو كلاهما للحياة الزوجية :ويكون ذلك نتيجة أسباب جسمية أو عدم النضج الاجتماعي والنفسي ،قلة احترام الزوجين لبعضهما،الجهل لما تتطلبه الحياة الزوجية من معرفة بحقوق وواجبات الشريك، من الصبر والتضحية المطلوبة ضمن هذه الشراكة، وضرورة العمل على تلبية احتياجات الطرف الآخر، الأمر الذي قد يدفع بالزوج إلى خارج البيت للبحث عن البديل و تعويض النقص و قلة الاهتمام الذي يعاني منهما في بيته .

4-سوء فهم المقبلين على الزواج للمهمة الموكلة لهما : و قد تنتج عنه خلافات فيحدث خلل في فهم دور كل منهما وبالتالي في لعب الأدوار، ويشير(murno et al,1988) أن الأدوار الأسرية هي أنماط من السلوك الضرورية التي تعمل على بقاء الأسرة وعلى التعامل مع المشكلات التي تواجهها، وهذه الأدوار المتبادلة تحقق إشباعا للحاجات الشخصية وفرصا لحل الصراع ، فتوزيع الأدوار يعتبر من العناصر المهمة في إحداث التوافق بين الزوجين.

و تشير (داليا مؤمن 2004) من جهتها إلى أن التكامل بين شخصية الزوجين شرط أساسي لاستمرار التوافق بينهما منذ اختيار شريك الحياة ،حيث يبحث كل فرد عن الفرد الذي يمده بأعلى نسبة من الإشباع.

5- الأفكار الخاطئة لدى الزوجان : قد يدخل كلا من الزوجين الحياة الزوجية حاملا أفكارا خاصة أو توقعا خاصا لما ينتظره من مهام، وما يجب أن يقوم به الشريك، فيصطدم بممارسات سلوكية مخالفة لتلك

التوقعات ومن هنا تبدأ المشاكل التي قد تتفاقم في غياب النضج النفسي و الدراية الكافية بشخصية الطرف الآخر فنقص الدراية بمختلف المهمات ضمن الأدوار الاجتماعية المنوطة بكلا الزوجين يجعلهما في صدام وشجار متواصلين و يخلق جو من اللامان،و يؤدي إلى شعور الطفل بعدم الثقة في من حوله، وقد تظهر لديه مشاعر النقص فتولد لديه استجابات تعويضية لا تعرف عواقبها مثل اللجوء إلى استعمال العنف.

أشارت (اودنيل وآخرون 1995) إلى أن البذور الأولى للسلوك غير الاجتماعي لدى الطفل مثل ممارسة العنف والعدوان تتكون في البيئة الأسرية، ويشجعها و ينميها عدم الاتساق في ممارسة الضبط الأسري والقسوة التي يتعرض لها الطفل و يشاهدها داخل الأسرة، والأسلوب العقابي في التربية ،وان الأطفال الذين يعانون من المشكلات السلوكية تكون لديهم خبرات اجتماعية سيئة داخل الأسرة نتيجة التذبذب في ممارسة التطبيع الاجتماعي والقسوة في المعاملة الو الدية، التي تؤدي إلى نقص الكفاية الاجتماعية وعدم الاتساق مع أنماط السلوك الاجتماعي السوي. ،فسوء التوافق الزواجي يعتبر أكثر العوامل الأسرية ارتباطا بسوء العلاقات داخل الأسرة و بمشكلات الطفل السلوكية

6- اختلاف المستوى الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي بين الزوجين: قد يختل توازن الأسرة من جراء الذي يؤدي إلى إحساسهما بالفوارق باستمرار،و سيطرة الحياة المادية على حساب القيم الروحية و الأخلاقية نتيجة الضغوطات المادية، و اختلاف طموح الزوجين المستقبلي فيما يتعلق بدراستهما أو عملهما قد يزيد من الخلافات الزوجية الأمر الذي يخلق اضطرابات داخل الأسرة و يؤدي إلى تمزق النسيج العلائقي لأفرادها.

7-مشكل البطالة والإدمان : قد يصادف الأسرة التي تثقل كاهل الزوجين خاصة مع تدهور القدرة الشرائية في مختلف المجتمعات و اتساع دائرة المطالب و الطموحات ، ضف إلى ذلك مشكل الإدمان الذي يعتبر مشكلة حقيقية قد تصيب الأسرة بكاملها وتعمل على تصدعها و تفككها لما قد تجره عليها من نتائج سلبية سواء على المتعاطي نفسه، أو على الوضع النفسي للأسرة بكاملها المتمثل في القسوة و سوء المعاملة خاصة بالنسبة للزوج تجاه زوجته.

ونجد الكثير من المشاكل الأخرى التي فرضها تعقد شروط الحياة بدءا من اختلاف الظروف الاقتصادية التي أرهقت الوالدين ودفعت الأم إلى الخروج للعمل ، و تعقد الحياة المادية و ازدياد متطلباتها و ارتفاع مستوى الطموح والمتطلبات لدى مختلف شرائح المجتمع و داخل الأسرة الواحدة، واختلاف المرجعيات التربوية كل هذا خلق مشاكل بين الزوجين وحال دون تمكن الأسرة من القيام بدورها التربوي والتوجيهي وأدى إلى إضعاف سلطتها على الأطفال، و جعل مهمة تربية الاطفال مهمة صعبة.الأمر الذي افرز الكثير من القسوة والعنف تجاه الآخرين خاصة منهم الاطفال باعتبارهم الأقرب

لهذه الدوامة التي تعيشها عائلة من هذا النوع و كذا سوء المعاملة واضطراب العلاقة داخل الأسرة خاصة علاقة الوالدين بأطفالهما وهم في خضم هذه المشاكل .

لقد أثبتت الكثير من الدراسات أن الصراع القائم بين الأب والأم يؤثر على سلوك الأطفال فيعانون من احباطات ومضايقات كثيرة وغالبا ما يختارون بعض أنماط سلوك والديهم غير السليمة اجتماعيا فيتقمصونها و هذا ما يؤكده(السيد السيد 1998)عن (داليا مؤمن)بحيث توصل إلى أن أبناء المتوافقين زواجيا يميلون إلى الاتصال بالناس و التعاون معهم و يتميزون بالاتزان الانفعالي و النضج و الواقعية و يصبحون أكثر ابتكاريه وتوافقا من أبناء غير المتوافقين زواجيا .

ومن جهة أخرى أكد العديد من الباحثين و العاملين في مختلف الميادين المهتمة بالطفولة على النتائج المؤسفة للخلافات الأسرية على الطفولة في جميع أطوارها فهي ترتبط بكل من الاكتئاب و الانسحاب وضعف الكفاءة الاجتماعية والمشكلات الصحية وانخفاض الأداء الأكاديمي وعدد من المشكلات السلوكية عند الطفل(gottman, 1998) .

كذلك نوعية العلاقات التي تربط الطفل بأسرته خاصة الأم والأب، كما اتضح من دراسة (رابل ribble1943) (عن فاديه كامل حمام 2002) أن الطفل الذي يتمتع بحب الأم و عطفها يختلف في نموه الجسمي و النفسي عن الأطفال الآخرين ،ففقدان الحب الذي يظهر عند الأحداث يرتبط بالجو الأسري الذي يعيش فيه الطفل ،فكل أسرة تحيط بها مجموعة من الظروف والعوامل مشكلة أجواء خاصة من الناحية الثقافية الاجتماعية التربوية و الاقتصادية، تاركة أثارا واضحة وبصمات راسخة في شخصية الطفل حاضرا ومستقبلا،لان الأسرة تعتبر المحيط الأول الذي يفتح الطفل عليه عيناه و هي المرجع الأساسي الذي يستمد منه خصائص شخصيته فيما بعد، لذا فمن الخطورة أن يكون هذا المرجع غير مستقر و بعيد عن الأسلوب التربوي المطلوب خاصة أن هناك دراسات كثيرة اتفقت على أن أغلبية الأحداث القاصرين المنحرفين ينحدرون من اسر و عائلات مفككة ،فالبيوت المحطمة نفسيا والتي يكثر فيها الشقاق اشد ضررا على الصحة النفسية للطفل من الأسرة المحطمة ماديا.

إن المناخ الأسري الذي يتميز بالشقاق و التوتر يدفع الأطفال في الغالب إلى الفرار من البيت إلى البيئة الاجتماعية الخارجية المفتوحة على كل الآفات الاجتماعية .

- هنا نتساءل ما هو نوع العلاقة التي يمكن أن تقوم بين الطفل و أسرته في هذه الحالة و ما هي الانعكاسات التي قد تترتب عن وجود طفل ضمن أسرة مضطربة؟

لقد توصلت الباحثة (بوسلافة 1986) من خلال دراسة قامت بها على مجموعة من الأطفال إلى وجود علاقة سالبة بين التعاطف و المودة والمحبة وعدم العقاب وبين العدوان عند الطفل ،ووجدت أيضا أن أسلوب التسلط له تأثير سلبي على نمو الطفل اجتماعيا، وأسلوب التقبل يرتبط ارتباطا موجبا بسمات شخصية الأبناء الايجابية. (اميمة منير جادو،2005)

ومن جهته ارجع الباحث (مصطفى فهمي1999) أسباب العنف والعدوان لدى الأفراد إلى عدة عوامل منها عوامل بيئية داخل الأسرة ومنها حالة المنزل من الناحية الاقتصادية و انهيار الجو الأسري وأسلوب التربية داخل الأسرة،و الحالة الأخلاقية في الأسرة ،و قد تبين من دراسات كثيرة حسب (ناجي مرشد 2005) أن بعض المجرمين ينحدرون من أسر ينتشر فيها العدوان، وأن الأشخاص أصحاب سمة العدوان العالية قد تعرضوا في طفولتهم لخبرات الحرمان و الإحباط و القسوة وعدم التقبل.

و في نفس السياق قام (جيرالد gerald1986) بدراسة كان الهدف منها البحث في العلاقة بين الضغوط الو الدية التي يمارسها الوالدين على أبنائهم و مدى ارتباطها بالسلوك غير الاجتماعي لدى الأطفال، وجاءت النتيجة أن الضغوط الو الدية تكمن وراء السلوك غير الاجتماعي بصفة عامة وخاصة منه سلوك العنف.

قد أشارت دراسة (بولد وين وزملائه Baldwin;a.l .et a 1949) عن فاديه كامل حمام 2002 إلى أن هناك علاقة بين معاملة الوالدين و تكيف الأطفال،ووجود ثلاثة أبعاد لمعاملة الوالدين لأطفالهم وهي: القبول ، التعلق والاستغلال،و الديمقراطية والتسلط و عليه فالاطمئنان الذي يحظى به الطفل أفضل من الحرمان، و قبول الطفل و العناية به أفضل من نبده، و المسايرة مع الرعاية أفضل من الضغط و الإكراه، وكذلك الإهمال والهجر والنبذ، التسلط والمبالغة في الشدة ترتبط بظهور أشكال الميل نحو السلوك العدواني الذي يظهر عند الطفل داخل وخارج البيت فالعدوان كثيرا ما يكون نتيجة حتمية لما يواجه الفرد من احباطات متكررة .

وقد ذكرت كثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت السلوك العدواني أن الأطفال الذين يعيشون في أسر مضطربة تسودها الخلافات الزوجية الكثيرة ويستخدمون أسلوب العقاب و يكتسبون صفات عدوانية ،و كذلك يزيد تعلم السلوك العدواني عندما يرضخ الأبوان لرغبات الطفل الغاضب، و بهذه الطريقة يتعلم الطفل أن بإمكانه السيطرة على المحيطين به،و تصبح العدوانية أسلوب تعامل مع الآخرين، و قد تتطور مع الزمن فتتخذ أشكالا مختلفة من العنف والشغب ،كما أن الأطفال الدين لم يتعلموا العيش في جو من الهدوء والوفاق والانسجام مع دويهم داخل أسرهم يجدون صعوبة في التعايش والتوافق مع الغير مستقبلا.

وقد تؤدي أساليب القسوة هذه والإهمال و سوء المعاملة إلى خلق آثار سيئة عند الطفل ،و منها كراهية السلطة الأبوية وعداء للكبار و المجتمع قد يؤدي إلى الجناح ، ففي دراسة قام بها (وليد سرحان 1997) بينت أن تعرض الأطفال للإساءة من طرف الوالدين يؤدي إلى ظهور العنف لديهم والى ضعف التحصيل ونقص الثقة بالنفس،فالأطفال الدين لا يتلقون إلا القليل من الحب و الاهتمام، و اللذين يتعرضون للنقد والقسوة والعنف يكونون أكثر ميلا للعدوان في علاقتهم بغيرهم.

وهذا ما توصلت إليه كذلك دراسة(طلعت إبراهيم)كما أوردتها (اميمة منير جادو 2005)

و الخاصة بالتنشئة الاجتماعية داخل الأسرة وظهور سلوك العنف عند الأطفال، و هي دراسة ميدانية حاولت التعرف على الدور الذي تلعبه الأسرة بالمقارنة مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى مثل المدرسة ، وسائل الإعلام وجماعة الأقران بالنسبة لاكتساب الطفل السلوك العدواني، ومن ضمن ما توصلت إليه الدراسة أن الأسرة احتلت المركز الأول من حيث تأثيرها على الأطفال، و أن ضعف الوازع الديني و سوء التربية داخل الأسرة ،الفقر والحرمان المادي و العاطفي، التفرقة وعدم المساواة بين الأطفال تعتبر من أهم أسباب العدوان والعنف .

كما وجد كيوفمان(kauffman,g.m.1981) كما أوردته (فاديه كامل حمام 2002) أن عقد المقارنات بين الأخوة و الأخوات وتفضيل أحدهم على الآخر، إما بسبب الجنس أو السن أو الحالة الصحية، يولد الغيرة في نفوس الأبناء فتكثر مشاكلهم مما يؤدي إلى سوء توافق الأبناء النفسي والاجتماعي.

من جهته وجد (روبرت أندري) كما أوردته(اميمة منير جادو2005) في دراسته على مجموعة من الأحداث الجانحين أن الحرمان النفسي من الأم ، انعدام الحب بين الطفل ووالديه و أسلوب التربية القائم على القسوة ، النبذ والعقاب يشكلون السبب الرئيسي في ظهور الشخصية الجانحة.

وقد ينشا الطفل في أسرة قد تكون معتقداتها غير منطقية نظرا لظروف وأزمات معينة ،فالأسرة المضطربة كثيرا ما تتولد عندها معتقدات خاطئة من وحي الظروف المحيطة بها، وبما أن البيت هو المصدر الأساسي للمعتقدات فقد يتبنى الطفل هذه المعتقدات و يعممها على جميع من يقابلهم، كأن يحمل فكرة أن كل من هو أجنبي عن الأسرة يمثل خطرا يجب التصدي له بالهجوم ، أو أن أفراد المجتمع أناس سيؤون بالضرورة، في هذه الحالة يصبح الطفل سيئ الظن بالآخرين ، عدواني ،لا يسارع إلى مساعدة الآخرين، ومنه رفض الآخر و عدم التعامل معه ،قلة الحوار ، انعدام التسامح ، هذه كلها معاني سامية قد يفقدها و يجهل معناها الطفل الذي نشا في أسرة مضطربة هي نفسها جاهلة بقيمة هده المعاني، مما يعطينا فيما بعد جيل من الشباب يكرس العنف والتصادم ورفض الحوار والنقاش والتعايش السلمي مع الآخرين .

4-الطفل والأسرة المضطربة :

قد يتخذ الآباء ضمن الأسرة المضطربة أساليب ممارسة معينة في علاقتهم مع أبنائهم ،يعتقدون أنها مناسبة، ويمكن أن نسميها" أساليب تعويضية" قد يلجأ إليها الأب الذي فقد السيطرة على أمور بيته فيتجه إلى الضغط على أطفاله و ذلك من خلال التوقعات العالية التي يحملهم إياها، فهو يتوقع من أطفاله أن يظهروا مهارات متزايدة دون السماح لهم بالخطأ و النتيجة أن الطفل يشعر بعدم قدرته على تلبية تلك التوقعات،و يفكر بخيبة الأمل التي يسببها لوالده، و هذا يخلق عنده الشعور بالقلق وبأنه دون المستوى المطلوب، وقد يستمر معه هذا الشعور طول حياته فيحرمه من فرص نجاح كثيرة قد تصادفه.

كما قد نجد الأم الفاقدة الشعور بالأمان مع زوجها تميل إلى أسلوب الحماية الزائدة والتدليل في التعامل مع أطفالها و هي في هذه الحالة قد تسيء إليهم أكثر مما تفيدهم ، فتدللهم بإعطائهم كل شيء و عدم السماح لهم بالتعامل مع الأزمات العادية،فينشا الأطفال اعتماديين و غير مستقلين ولا يستطيعون تحمل صعوبات الحياة، فتشكل عندهم هذه الاعتمادية سلوكيات الفشل وعدم النجاح مستقبلا، فالأطفال غالبا ما يصبحون جبناء و خائفين من الوقوع في الأخطاء،غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم،
و يفقدون عنصر أساسي في شخصيتهم وهو الشعور بالثقة في النفس و شعور الطفل بالعجز نسبيا .
و من الممارسات الخاطئة و للاسف شائعة خاصة في الأسر التي ينقصها نوع من الاستقرار والجو النفسي المريح ، نجد استعمال أسلوب النقد المستمر وعدم الاستحسان الذي يخلق عند الطفل الشعور بانعدام الجدارة وعدم جدوى المحاولة فتتكون صورة سلبية للطفل عن نفسه حتى ولو كانت خاطئة فيؤدي اللوم المستمر إلى اعتقاد الطفل انه سيئ، و غالبا ما يتصرف بناء على هذه الصورة،فيتم الإشارة دائما لفشلهم.

فنظرة الطفل و فكرته عن نفسه يكتسبها من نظرة والديه له، و وأهم دعامة لبناء شخصية الفرد هي معرفته لقيمة نفسه وهذا لا يتأتى للطفل إلا عن طريق التقدير الذي يمنحه إياه أفراد الأسرة خاصة منهم الوالدين.

ومن المؤثرات القوية على شخصية الطفل النموذج أو القدوة التي يجسدها الوالدان ،فالأطفال يبنون جزء من شخصيتهم استنادا لنموذج الأب والأم و ذلك عن طريق التقليد والمحاكاة ،و تكمن الخطورة في حالة ما إذا كان هؤلاء الآباء يمثلون قدوة غير صالحة سواء في السلوك أو عبر أنماط شخصياتهم، فنجد منهم الضعيف في تقديره لذاته فهو يعامل الطفل بعدم الاحترام نفسه الذي يشعر به نحو نفسه، فيتعلم الطفل أن عدم اعتبار الإنسان لنفسه أمر طبيعي ،و الجو الذي يكبر فيه هؤلاء الاطفال لا يتضمن مشاعر ايجابية نحو الذات،و الآباء الذين لا يحرصون على بدل جهدهم غالبا ما يصبح لديهم اطفال يتصرفون مثلهم.

و يرى كل من (شارلز شيفر وهوا رد ميلمان 2001)أن بعض الآباء يمتلكون دوافع للانجاز في غاية القوة بالنسبة لأنفسهم ولأطفالهم،وعليه فهم لا يتقبلون أي تعبير عن الفشل أو الإحباط أو عدم السعادة من قبل أطفالهم،هؤلاء الآباء لا يريدون سماع أي شيء عن المشاكل ولا ينصتون لأطفالهم ،كما أنهم يتحدثون عن الأطفال ويصدرون إليهم تعليمات بدلا من أن يستمعوا إليهم،وغالبا ما يتخلى الطفل في هذه الحالة،عن محاولات الاتصال مع هؤلاء الآباء،و بدل من أن يصغي ويتحدث ويحل المشكلات،يصبح اكتئابيا

يرى الدكتور (معن العمر2004)أن الآباء قد يكونون السبب في التنشئة الخاطئة لأبنائهم من خلال فشلهم في رعايتهم و الفشل في خلق علاقات سوية معهم وتحديدا عندما :

-لا يتعامل الوالدان تعاملا عاطفيا مع أبنائهم.

-يكون الوالدان سلبيين تجاه أبنائهم في تربيتهم البيئية.

-لا يعلم الوالدان أبنائهم معايير الضبط الاجتماعي و لا يلقنوهم معايير السلوك المتحضر.

-يبالغ الوالدان في توجيه نقدهم لتصرف أبنائهم.

-يركز الوالدان على الجوانب السلبية لسلوك الأبناء ونقدهم لها .

ودائما ضمن الأسرة المضطربة ،و نتيجة لسوء العلاقة بين الطفل ووالديه قد تظهر حالة الاكتئاب عند الطفل والذي هو شعور بالحزن و الغم مصحوب غالبا بانخفاض في الفاعلية، كما أظهرته دراسة (اوليفر و باول Oliver,j.m,paull ,juliee,1991)عن فاديه كامل حمام 2002 بحيث توصلت إلى وجود بعدين من أساليب التنشئة الو الدية لهما ارتباط كبير بظهور حالة الانطواء والاكتئاب عند الطفل وهما : الرفض والتحكم السيكولوجي للطفل، وهما نوعان من التطرف في أساليب المعاملة الو الدية، في الوقت الذي هو مطلوب فيه الوسطية في معاملة الطفل، و يأتي الاكتئاب عادة بعد تكون فكرة لدى الفرد بأنه لا يستطيع التكيف مع مشكلات الحياة اليومية.

و قد لوحظ من خلال دراسات حديثة وجود عدد متزايد من الأطفال المكتئبين ممن هم دون سن الثانية عشرة، ، و استجابات الحزن والعجز هذه هي استجابات شائعة لدى الاطفال الذين يعانون من الضرب وسوء المعاملة داخل الأسرة،و هنا نشير للانعكاسات الضارة التي قد يتلقاها الطفل من خلال معاملته داخل الأسرة ،و إلى أي مدى يمكن أن تأثر عليه وعلى شخصيته،و يرى كثير من المختصين أن الاكتئاب يمكن أن يكون سببا لكثير من المشكلات السلوكية لدى الاطفال ومنها التبول اللاإرادي،نوبات الغضب،الهرب من المدرسة، الانحراف و النشاط الزائد، اضطراب النوم و المشكلات الجسمية والنفسية، ويتولد لديهم الشعور بالنبذ و بأنهم غير محبوبين و يقللون من شان أنفسهم ويشعرون بالذنب، فيلومون أنفسهم عن أي فشل، هذا كله نتيجة الحرمان المبكر وعدم تلقيهم الرعاية الكافية من حيث العطف والحب و الرعاية التي تمكنهم من الشعور بأنهم مرغوبون و آمنون نفسيا، و ينقلب هذا الإحساس لينصب على المحيطين بهم، فهم يرون أبائهم و معلميهم و زملائهم و إخوانهم كأشخاص ظالمين قساة ،و في حالة الإحباط هذه التي يعيشها الأطفال يوجه بعضهم غضبه الذي يشعر به تجاه الآخرين، نحو ذواتهم و هذا النمط يحدث غالبا نتيجة بيئة متدبدبة،لا يمكن ضبطها كأن يكون الوالدان متذبذبين في التعامل مع الطفل، بحيث لايستطيع هذا الأخير التنبؤ بنوع الاستجابة التي ستصدر عنهما ردا على سلوكه، فتنشا عنده حالة من القلق و الحيرة فلا يمكنه تكوين فكرة ثابتة عن سلوكه، و تهتز ثقته بوالديه فيلجا إلى استعمال الكذب و النفاق و بهدا يكون الوالدان قد قدما لطفلهما نموذجا اجتماعيا وعاطفيا مضطربا غير صالح للتقليد .

إن الحرمان من العطف الأبوي و أساليب الرعاية القاسية والعلاقات القائمة على الرفض أو النبذ و الإهمال و التسلط وتكرار الخبرات و المواقف المحبطة، تعتبر مصادر أساسية لفقدان الشعور بالأمن. فالأسرة المضطربة و دائمة التعرض للمشكلات و الاضطرابات المختلفة لا تستطيع أن توفر لأبنائها الجو النفسي الملائم للنمو السليم فتؤثر في شخصية الطفل و تجعل منه شخصا مضطربا نفسيا أو منحرفا لان أبعاد شخصية الطفل تمثل في جانب كبير منها استجابات تراكمية للبيئة النفسية الاجتماعية التي ينشا فيها .

وفي هذا الصدد ، ورد عن الدكتورة(حنان العناني)أن دراسة أجريت في جامعة واشنطن بينت أن الأبناء في الأسر التي تسودها العلاقات الديمقراطية تكون نسبة القلق لديهم اقل، وتقل لديهم الرغبة في هجر المنزل من الأبناء الذين ينتمون إلى اسر غير ديمقراطية، و أن أطفال الأسر التي تمنح حرية واستقلالية لأطفالها يتميزون بأنهم أكثر اعتمادا على النفس،و أكثر إدراكا للذات و أكثر تعاونا مع غيرهم من الأطفال ،كما تبين أن نسبة كبيرة من الأولاد و البنات الدين نشئوا في اسر متسلطة يكرهون فيها أهلهم ،قد ينعكس كرههم هذا على المجتمع،أما الطفل الذي نشا في أسرة تسودها الديمقراطية و العلاقات الايجابية فانه يكون أكثر استعدادا لاتخاذ قرارات مناسبة لنفسه،فيما أشارت دراسات أخرى أن نسبة معتبرة من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر متفككة يعانون من مشكلات تكيف في المدرسة و مشاكل تأخر دراسي.

4-1-أدوار الطفل ضمن الأسرة المضطربة :

تشير (داليا مؤمن)إلى أن الطفل ضمن الأسرة المضطربة،وتبعا للعلاقات التي تربطه بوالديه قد يقوم بادوار مضطربة،مرضية مثل:

- المستفز the provoker : وهو الطفل الذي يستفز الأعضاء الآخرين في الأسرة ويبدأ معهم المشاكل لأنه يعتقد لاشعوريا أن السبيل الوحيد ليأخذ له مكانا في الأسرة هو خلق المشاكل.
- كبش الفداء the escapegoat : و هو دور يلعبه الطفل الذي كثيرا ما يتعرض لسوء المعاملة من قبل الوالدين وكثيرا ما يوجه إليه اللوم بسبب ما يحدث في الأسرة، فيلوم نفسه دوما ويعتبر نفسه ضحية الأسرة.
- العضو السيئ the bad one : وهو الطفل الذي يتسرع في إظهار المشاعر الملحة باستمرار و لا يتصرف طبقا لما تراه الأسرة.
- الدور المعكوس counter role : في هذه الحالة يعطي الوالدان لأطفالهم دور الآباء، ويكون على الطفل أن يعمل على راحة والديه و القيام بالدعم الانفعالي لهم ،و اذا لم يلتزم الطفل بهذا الدور يتعرض للضرب المبرح والإساءة.

قد يتعرض الطفل ،داخل أسرة مضطربة ،إلى هذه المشكلات وغيرها، و هذا نظرا للظروف التي تشكل ضغوطا على الأسرة كالفقر، الطلاق،المرض والإعاقة،البطالة،كثرة الخلافات الزوجية وغيرها من المشاكل

التي قد تدفع الأبوين إلى إفراغ شحنات إحباطهم وغضبهم على أطفالهم، مما يولد جوا مشحونا بالخلافات فتسوء العلاقات داخل الأسرة وتنعكس سلبا على النمو النفسي السليم للطفل،وفي جميع الحالات يجب النظر للموضوع بكثير من الوعي والمسؤولية من طرف الوالدين ، من أجل أن يجنبا الطفل تبعات هذه المشاكل داخل الأسرة.

5-الطفل و الأسرة السوية :

نجد من جهة أخرى نمط آخر من الأسر التي تتمتع بكثير من الاستقرار، و التي نسميها الأسرة السوية ،وتعرفها الدكتورة (داليا مؤمن)بكونها الأسرة الصحية أو الفعالة في وظيفتها،و هي الأسرة التي تشبع حاجات مختلف إفرادها،وتتسم العلاقات بينهم بالنضج والإشباع المتبادل،هي أسرة يكون التواصل بين أعضائها صريحا ومباشرا وواضحا، ولديها قواعد ظاهرة وغير ظاهرة يكون العنف غير مسموح به داخل بناء الأسرة، أسرة تتقبل التغيير و الضغط كجزء من الحياة، مع وجود ادوار تتفق مع إمكانيات الأفراد ووجود تماسك اسري يحقق اكبر عدد من حاجات الفرد ،فالأسرة السوية تسهل التغير الاجتماعي لكي تتلاءم مع حاجات المجتمع للتغيير.

يمكن تعريف الأسرة السوية من منطلق التوافق النفسي الاجتماعي الدي تتمتع به،لان التوافق النفسي هو عملية دينامكية تشمل القدرة على التكيف مع البيئة الطبيعية و الاجتماعية، و كذا القدرة على التغلب على الصعوبات ومواجهة ضغوطات الحياة دون نتائج سلبية تذكر، وهذا ما تشير إليه الدكتورة (داليا مؤمن 2004) بقولها أن السعادة الزوجية لا تعني انعدام المشكلات التي تواجه الزوجين وإنما تعني المقدرة على مواجهة تلك المشكلات والعمل على حلها، و أن الزواج الحقيقي ليس الزواج الخالي من الخلافات، و لكنه الذي يمكن أن يتخطى الصعوبات .

لا يمكن أن نعتبر أن الأسرة السوية هي الأسرة التي تخلو من المشاكل والاضطرابات ، لان كل إنسان و فرد في المجتمع أثناء تفاعله مع الآخرين يؤثر ويتأثر، وبالتالي لابد أن تصادفه مشاكل و عراقيل ،و لكن تظهر مقومات الأسرة السوية في قدرتها على مجابهة الصعاب وتخطيها من جهة، ومحاولة حماية علاقاتها داخل الأسرة من تأثير هذه المشاكل ،فالتوافق النفسي هنا هو حالة الرضا بالواقع بايجابياته، وسلبياته، والتكيف معه دون المساس بوحدة العائلة وتماسكها العلائقي، و يعتمد حدوث التوافق مع الأزمات الأسرية على مدى فاعلية أداء أعضاء الأسرة لأدوارهم .

يشير (العيسوي) في هذا المجال إلى أن هناك عوامل تدفع الأسرة وتساعدها على التوافق مع الأزمات منها :

- قوة العلاقات العاطفية بين أعضاء الأسرة .
- علاقات الصداقة بين الآباء وأبنائهم .
- التوافق الزواجي القوي بين الزوجين.

من هنا تتضح أهمية نوعية العلاقات داخل الأسرة للحصول على الاستقرار الأسري والذي تكون آثاره جد ايجابية على الأطفال، فرعاية الأطفال داخل الأسرة المتوازنة نفسيا من أهم العوامل التي تؤثر على تكوينهم حتى آخر حياتهم ، و العلاقة بين الأب والأم والأطفال لها أهمية كبيرة في تربية النشء وفي ترسيخ الكثير من المفاهيم و القيم الإنسانية ، أما التوافق الاجتماعي فهو يعكس قدرة الفرد على إقامة علاقات مناسبة و مسايرة لأعضاء الجماعة التي ينتمي إليها، و في المقابل يحظى باحترام وتقدير الجماعة لأرائه واتجاهاته.

ومن شروط التوافق الذي يجب أن تتميز به الأسرة في هذه الحالة هو تمتع الزوجان بقدر معقول من الصحة العقلية و النفسية والحالة المزاجية، والخلو من الاضطرابات السلوكية كالشدود الجنسي أو الإدمان،الجنوح ، العنف ،اللامبالاة والتهرب من تحمل المسؤولية، أو الميل للعدوان و سرعة الغضب، إحساس كلا الزوجين و إدراكهم لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وهم يتخطون الخطوات الأولى للزواج ،و كذا معرفتهم بأسس الزواج وأبعاده المعنوية والمادية و متطلباته من التضحية والعطاء، معرفة أهدافه المتمثلة في تكوين أسرة متحابة ، متفاهمة ذات أهداف موحدة متمثلة في بناء أسرة وتربية أطفال باعتبار المصير المشترك الذي يربطهما، الاتفاق على نوع الدور الذي يجب أن يلتزم به كل واحد منهما باحترام قانون الطبيعة الذي خلق كل واحد عليه، وخاصة الاتفاق على الأسلوب الواجب اعتماده في تربية الأطفال .

يلعب النضج الانفعالي للزوجين دورا أساسيا في تحقيق التوافق داخل الأسرة،لان اضطراب الحياة الانفعالية لكليهما أو لأحد منهما يؤدي إلى اضطراب الحياة الاجتماعية والعلاقات الأسرية، و حتما هذا ينعكس سلبا على الطفل، و كذا ضرورة التمتع بالقيم الروحية والدينية والأخلاقية،و الإيمان بان أساس قيام العلاقة الزوجية هو المودة و السكينة والرحمة والحب والتعاون ،و الاستعداد لقبول قدر معقول من المشكلات التي قد تنشا بالضرورة من جراء التفاعل الأسري.

6-أهمية الاستقرار الأسري بالنسبة للطفل :

إن قيام الحياة الأسرية على أسس سليمة و موضوعية يدفعها للقيام بوظيفتها التربوية والتعليمية على أحسن وجه، وإلا فإنها ستواجه معوقات تقف في طريق استمراريتها و تحقيق أهدافها ويكون الطفل هو المتضرر والضحية الأكبر ، فشعور الطفل بالأمن يتحقق في ظل التنشئة الأسرية القائمة على الحب والحنان وإشعار الطفل انه مرغوب فيه، فقد أظهرت دراسات أن الأطفال الذين يشعرون بالأمن و الحب و الاهتمام داخل أسرهم، يستطيعون تطوير علاقات اجتماعية مع إقرانهم ويتطور لديهم إحساس من النشاط و الاجتهاد في دراستهم .

في نفس السياق يرى (شارلز شيفر وهوارد ميلمان 2001) أن الاتصال الحساس و البناء يساعد على خلق وضع أسري يتسم بالاهتمام والتفاؤل، و الأفراد الذين لا يشعرون بالعجز وقلة الاهتمام داخل الأسرة ،لا ينزلقون إلى هاوية اليأس و الاكتئاب ،وعليه لابد من تنمية الشعور بالكفاءة والاستقلال لدى الطفل،و ينبغي أن يعطى الأطفال مجالا للحوار والاختيار وأن يعزز لديهم حسن الحكم والمبادرة ،فالجو الأسري الذي يساعد على النمو النفسي السوي و يحقق الصحة النفسية يكون ضمن أسرة سوية، و هو خال إلى حد كبير من الاضطرابات النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية .

تقوم علاقات ودية متوازنة بين الأبوين وأطفالهما عندما تكون العلاقات و الروابط الأسرية تتسم بالاستقرار النسبي، فتستطيع الأسرة أن تمارس وظائفها بحيث أن العلاقات الأسرية بين الطفل ووالديه، وبينه وبين إخوته، وبين الوالدين بعضهم البعض، تقوم على التفاهم، الاحترام ،تبادل مشاعر الود والمحبة ومراعاة مصالح الطرف الآخر.

الأسرة السعيدة تعتبر بيئة نفسية سليمة و صالحة للنمو النفسي والجسمي و العقلي و الاجتماعي للطفل بما تحمله من هدوء وسكينة وأهداف ووسائل تربوية واضحة.

يرى العيسوي(2003) أن صورة التوافق في العلاقات الأسرية تظهر إذا سارت على النحو التالي:

- اتجهت علاقات الأب و الأم نحو الأبناء من طريق متفق عليه بينهما.
- تساوت الحقوق و الواجبات و الرعاية و الحنان بين الأبناء جميعا.
- ارتبط كل من الوالدين بأخلاقيات وقيم اجتماعية سليمة.
- كان للأسرة أهداف مشتركة و قدرة على الإسهام في خدمة المجتمع و النهوض به.
- اشترك الأبناء مع الأسرة في إدراك احتياجاتها و العمل على مقابلة هذه الاحتياجات.

النجاح في إقامة أسرة سوية ومستقرة لا يأتي عفويا، و إنما لابد من توفر الإخلاص والنوايا الصادقة ، التخطيط ،الإصرار والتضحية، ووجود علاقة سوية وطيدة بين الزوجين هو أحسن مدرسة بالنسبة للأطفال.

الأسرة الناجحة هي التي تربي أبنائها على الأمل والتفاؤل والمثابرة،الايجابية في النظر إلى الأمور و تجنب سوء الظن الذي من شانه أن يعرقل كل محاولة لبناء علاقات اجتماعية مع الآخرين.

يرى الدكتور(عبد العزيز السيد) من جهته أن الأسرة السوية هي التي تتضمن تكامل ادوار الوالدين و يتم فيها توزيع الأدوار على كل أعضاء الأسرة حسب طاقة كل واحد منهم ،توزيع المسؤوليات بينهم،انعدام الصراع والتنافس بينهم، مع تشجيع الاستقلالية لدى الأبناء و تحفيزهم على المثابرة والاجتهاد والاستفادة من الأخطاء السابقة، وهي كذلك الأسرة التي تتميز بالفاعلية و الايجابية،فيتضح دور الوالدين و مكانتهما مع وجود تفاعل بين جميع أفراد الأسرة،و تتضح واجبات الأبناء تجاه الوالدين، فلا يحتاج الوالدان ا ثبات قوتهما من خلال السيطرة أو العقاب ،كما لا يحتاج الأبناء إلى التظاهر بتحمل مسؤولية

الكبار،و في مثل هذه الأسرة يتمتع كل فرد بانتمائه إليها،كما أن أفرادها يمارسون المناقشات والحوار بمهارة،و يتمسكون بقيم ومعايير محافظة على كيان الأسرة،وتعزيز مواطن القوة عند أفرادها، و تدعيم أواصر الروابط الأسرية بما يسمح بتحقيق أقصى قدر ممكن من النمو و النضج للجميع،وأهم عنصر هنا هو محاولة الوالدين تجنب الأساليب التربوية القاسية والتي قد تخلق في نفسية الطفل الكثير من التناقضات والمشاكل النفسية ،و ليس ثمة بديل لأن يكون الآباء حساسين لمشاعر الطفل وسلوكه،فالتعبير عن جميع أشكال المشاعر الخاصة بالطفل ومناقشتها هو أمر مشروع(شارلز شيفر وهوارد ميلمان).

خـاتـمـة :

للأسرة أهمية بالغة في تمتع الطفل بالصحة النفسية والجسدية،فهي المسئولة على رعايته وتكيفه النفسي والاجتماعي، وكذا تعليمه وبناء شخصيته ككل، ولن يتسنى هذا إلا بتقديم القدوة الحسنة من جهة، وبحسن المعاملة وقوة ونوعية العلاقة التي تربط الطفل بوالديه من جهة أخرى.

نمو الطفل وشخصيته مستقبلا لن تكون إلا انعكاسا لمجموع العوامل و الظروف التي أحاطت به خاصة علاقته بوالديه،العلاقة التي أولاها مجموع العلماء و المتخصصين الأهمية الكبرى وهذا نظرا لعدة اعتبارات ومنها أن البيئة الأسرية بما تشمله من ظروف مثل الفقر الحرمان ،الفشل ،الإحباط نقص الدافعية،انعدام النماذج البناءة،القسوة،العنف، الإهمال والنبذ تؤثر بشكل أو بآخر على التوافق النفسي للطفل، وتحول دون قيام علاقات سوية وقد تخلق لنا أطفال مهزومين نفسيا ، فخبرات الطفولة تعتبر أساس شخصية الفرد،في هده المرحلة يكون الطفل قابلا وسهل التشكيل.

عليه وجب الاهتمام بالبيئة الأسرية بتوفير البيئة السوية للطفل، و توفير الرعاية اللازمة بجميع أشكالها:صحية، نفسية، تربوية، مادية الخ..فالطفل بحاجة إلى الحب،إلى الشعور بالأمان،إلى أن ينمو ويفرض نفسه،فأنماط التفاعلات السلوكية في محيط الأسرة هي المسئولة عن نمو الطفل،فهي التي تحدد شخصيته الاجتماعية و اذا ساد جو الأسرة الصراعات و التغيرات المفاجئة، فهذا يسبب للطفل مشاعر الإحباط فتكون النتيجة المقاومة والكراهية،مما يعرضه للفشل في مرحلة ما من مراحل حياته الاجتماعية والنفسية.

أما إذا ساد جو الأسرة الحب والتفاهم، فهذا يشعر الطفل بالسعادة ،و يمكنه من تحقيق النجاح ، فالطفل الذي ينشا على الحنان و الرعاية والتفاهم و الحب يكتسب قوة و مناعة تحميه من الأمراض النفسية و الجسدية،و العمل داخل الأسرة ومن طرف الوالدين على إشباع حاجات الطفل الأساسية حسب ظهورها أثناء مراحل نموه مثل المشكلات السلوكية كالغضب، الغيرة، العدوان ،القلق، الكذب وغيرها و كل هذا لا يتم إلا في كنف أسرة سوية تتمتع بالكثير من الاستقرار و التوافق النفسي، و الكثير من الوعي بالأساليب التربوية فتكون لديها أهداف ووسائل تربوية واضحة،ويمثل الوالدين فيها القدوة الحسنة حتى لا يلجأ

الأطفال إلى البحث عن القدوة في أماكن أخرى،أسرة تقوم علاقاتها على الحوار ثم الحوار، الذي يعتبر احد أهم المهارات التي يجب أن تترسخ في شخصية الطفل من خلال علاقته بوالديه دون عنف وقسوة أو إهمال حتى يتحقق له الاتزان العاطفي، فتتكون لديه شخصية تتميز بالنظرة الحكيمة للامور ،بالقدرة على العطاء والتفاعل مع الآخرين ، القدرة على تقبل الآخر و التعايش معه، حوار ينطلق من واقع الحياة في نطاق تربوي بهدف معين لأداء رسالة تربوية معينة، مستعملين أسلوب الإقناع، مع مراعاة خصوصية سن الطفل الذي يحتاج في علاقته مع والديه إلى الحب حتى يستمع إلى توجيهاتهم، و في سن أخرى كبداية المراهقة مثلا يحتاج إلى أن نخاطب عقله ومنطقه، وهو في هذه الحالة يحتاج في علاقته مع والديه إلى احترامه واحترام آراءه و التخلي عن أسلوب الزجر والسخرية والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة،و نتفادى أسلوب التحقيق معهم وإعطاء البديل حتى يبقوا أصحاء نفسيا وتربويا ،وخلق مناخ نفسي لمفاهيم المودة والتعايش.

تبقى الوسطية والحوار في التعامل مع الأطفال و توطيد العلاقات معهم داخل الأسرة حجر الأساس لبناء شخصية الطفل. و من أهم ملامح العلاقة الحوارية:الحكمة،الاستقامة،المنطق والعدل، بحسن استعمال فن الاستماع وانتقاء الوقت المناسب والكلام المناسب، وينبغي أن يسمح للطفل أن يقول (لا) في المواقف التي يستطيع ممارسة الاختيار فيها ،يجب تشجيع الأطفال على المحاولة وأخذ المبادرة بدل استخدام أسلوب سلبي في المواقف المختلفة،وتقوية قدراتهم على حل المشكلات،و تحل المشاكل عن طريق طرح الأسئلة والتفكير بالحلول الممكنة معتمدين في ذلك على الحب، فنعلم الطفل حقوقه وواجباته ونعرفه نقاط القوة والضعف في شخصيته وأن قوة الشخصية ليست خلوها من نقاط الضعف ولكن القدرة على التغلب على هذا الضعف وتجاوزه ونساعده على أن يفخر ويعتد بشخصيته وبتميزه عن الآخرين.

فمن المهم أن ينفرد الطفل بشخصيته ويحترم الآخرين وآراء الآخرين ،أن يعتد بانتمائه العربي ذو الجذور الضاربة في تاريخ البشرية مع الانفتاح على العالم الخارجي ،ونشجع محاولاته لإقامة علاقة مع الآخرين و تدريبه على المهارات الاجتماعية المختلفة وتكوين شخصية متسامحة، مسالمة وليست خاضعة لأن التسامح ينم عن قوة الشخصية بينما الخضوع هو ضعف الشخصية، فنفتح قنوات التواصل مع الطفل عن طريق الحديث ،الحوار وحل المشكلات.

ولتفادي حدوث صراع نفسي لدى الطفل يجب أن تكون اتجاهات الوالدين متقاربة، وفيها الكثير من الواقعية حتى لا تتعارض مع قيم المجتمع ،والقدرة على الاحتمال تجاه الهفوات و الأخطاء البسيطة التي من المتوقع أن يقع فيها الطفل ،مع توفير الجو المريح داخل البيت يساعد الطفل على العطاء ،و يجعله سويا في سلوكياته لا يعاني من مشاكل نفسية أو صراعات، و بهذا نكون قد حققنا نوع مميز من العلاقة داخل إطار أسرة سوية و نتفادى بذلك المشاكل السلوكية المختلفة التي قد تعترض الطفل، و كذا مختلف

المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع من جراء انحراف الأحداث الناتج عن سوء التوافق النفسي ولعلائقي للطفل داخل الأسرة المضطربة.

قائمة المراجع:

1-أميمه منيرة جادو2005،العنف المدرسي بين الأسرة و المدرسة والإعلام.دار السحاب للنشر والتوزيع،القاهرة.الطبعة الأولى.

2-العيسوي عبد الرحمن 2003،سيكولوجية الطفولة و المراهقة(الأسرة ودورها في حل مشكلات الطفل).دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن عمان،الطبعة الأولى.

3-حسن منسي 1991، علم نفس الطفولة، دار الكندي ودار طارق للنشر و التوزيع، الأردن الطبعة الأولى.

4-حنان عبد الحميد العناني 2000، الطفل والأسرة والمجتمع.دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان الأردن.الطبعة الأولى.

5-داليا مؤمن 2004، الأسرة والعلاج الأسري.دار السحاب للنشر و التوزيع، القاهرة.الطبعة الأولى.

6-شارلز شيفر،هوارد ميلمان:ترجمة نسيمه داود ونزيه حمدي2001 ،مشكلات الأطفال و المراهقين وأساليب المساعدة فيها.منشورات الجامعة الأردنية.عمان .الطبعة الثانية.

7-عبد العزيز السيد الشخصي 2001 ،علم النفس الاجتماعي.دار القاهرة للكتاب، مصر،الطبعة الأولى.

8-فاديه كامل حمام 2002، مشكلات الأطفال السلوكية و التربوية وكيفية مواجهتها و معالجتها من منظور إسلامي وتربوي.دار الزهراء للنشر والتوزيع.الطبعة الأولى.

9-معن خليل العمر1998،علم المشكلات الاجتماعية.دار الشروق للنشر والتوزيع،.جامعة اليرموك. الطبعة الأولى

10-معن خليل العمر2004،التنشئة الاجتماعية.دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان-الأردن.الطبعة الأولى.

11-مصطفى فهمي 1999، مجالات علم النفس.مكتبة مصر، القاهرة.المجلد الأول.

12-ناجي عبد العظيم سعيد مرشد 2005، تعديل السلوك العدواني للأطفال العاديين ودوي الاحتياجات الخاصة(دليل للآباء و الأمهات).دار زهرة الشرق، القاهرة.الطبعة الأولى.

13-وليد سرحان 1997 ،الإساءة للأطفال ،الايداء النفسي،الإساءة للطفل،منظمة الأمم المتحدة للطفولة،الأردن-عمان.

14-Berkawitz,l:aggression, its ciuses, consequences and control, mC. Crow hill ,new York ,1993. p.p. 299-265.

15-Gerald,rf:performance models for antisocial boys,american psychologie,1986.

16-Gottman, j.m: psychology and the stu dy of marital process. Annu.rev. psychol, 1998.
17-Murno ,a., manthei, b., and small, j. :counselling : the skills of problem-solving. London. Routledge. 1988
18-O,donell, j, Hawkins, j.,d., § a aboutt, r., d., predicting serious delinquency and substance use among aggressive boy.journal –of consulting and clinical psychology.no 63.pp.529-537. 1995.